كلمة الدكتور محمود السيّد في حفل تأبين الأستاذ الدكتور
محمد مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق
الأربعاء في 2022/6/15

السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأستاذ الدكتور بسام إبراهيم المحترم ممثل نائب رئيس الجمهورية
الأستاذة الدكتورة نجاح العطار المحترمة راعية هذا الحفل التأبيني.
أسرة الفقيد الأستاذ الدكتور محمد مروان المحاسني.
أيها الحفل الكريم:

إنه لموقف صعب أن أقف مؤبناً العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق رحمه الله الرحمة الواسعة سعة معرفته العلمية وإنجازاته العملية.

لقد كانت سيرته العلمية حافلة بالعطاء، إذ إنه أسهم أيما إسهام في أدائه الجامعي والمجمعي وفي جمعيات ومجالس ولجان عدة على الصعد كافة محلياً وعربياً ودولياً.

عرفته عن قرب إبان عمله المجمعي في العقد الأول من الألفية الثالثة حيث كنا عضوين في المجمع يوم كان رئيسه الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رحمه الله، وشاركنا معاً في بعض لجانه، ثم انتخب نائباً لرئيس المجمع عام 2005 قبل أن ينتخب رئيساً له عام 2008، وفي الوقت نفسه انتخبت نائباً عنه، وبقيت أربع عشرة سنة برفقته.

وتجدر الإشارة إلى تعدد اللجان التي كان رئيساً لها أو عضواً فيها، ومن هذه اللجان لجنة مصطلحات ألفاظ الحضارة، ولجنة مصطلحاتِ البيئة والمجتمع والمياه، ومصطلحاتِ العلوم الطبيعية والزراعية وطب الأسنان وعلوم الأحياء الحيوانية والنباتية والعلومِ الجيولوجية وتنسيقِ المصطلحات وتوحيدِها.

وشارك إبان عمله نائباً لرئيس المجمع في مشروع الذخيرة اللغوية والمخطوطات وإحياء التراث، ومصطلحات العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية.

ويدل تعدد اللجان التي كان رئيساً لها أو عضواً فيها على غنى مخزونه الثقافي، وسعة معرفته وتنوع آفاقها.

ولقد كانت الأعباء التي تحملّها في هذه اللجان كبيرة. وفي ضوء ذلك يمكننا أن نتصور الفراغ الذي حدث من جرّاء فقدان علم من أعلام جيل المكابدة والمعاناة، هذا الجيل الذي عانى ما عانى في سبيل الحصول على المعرفة، فقدّرها حقّ قدرها، وتمثّلها سلوكاً وأداءً، وتعدداً في القدرات، وتميزاً في الكفايات، وقوة في الإرادة، وعلواً في الهمة.

من سمات شخصيته رحمه الله الهدوء والاتزان والتحلي بالصبر والأناة في معالجة الأمور، وبالرفق واللين في التعقيب، ولم يكن ليجرح أحداً في ردّه على من لا يتفق معه في وجهة النظر إلى الأمور، فكان يتلقى جميع المداخلات بكل لطف وكياسة ولباقة وتهذيب جمّ. وطالما كان ينظر إليَّ ويومئ بطرفة عين عندما يرى أن ثمة قولاً ينأى عن الواقع.

عُني أيما عناية بالجانب الإنساني في المعالجة وتلبية طلبات ذوي الحاجات، وتسهيل أمورهم بكلّ نفس راضية، ولكم كان يجيد فن الاستماع إلى من يشكو أمراً أو ألماً من العاملين في المجمع، فيستفسر عن وضعه وما يحدث له، ويقدم النصيحة له في ضوء خبراته الطبية الغنية، فهو الطبيبُ الماهر، والنطاسيُّ اللامع، والمرشد البارع.

كان رحمه الله يتمتع بذاكرة متقدة قلَّ نظيرها، وبقيت متألقة حتى آخر أيامه، ولكم ذكرتني بذاكرة الأستاذ المرحوم الدكتور محمود حافظ رئيسِ مجمع اللغة العربية في القاهرة، فقد بقيت في لمعانها حتى وفاته عن عمر تجاوز المئة رحمه الله. وعلى غرار ذلك كانت ذاكرة فقيدنا المرحوم الدكتور مروان، إذ إنه كان يتذكر التفصيلات الجزئية الدقيقة لأحداث مرَّ بها من قبلُ، ويقارن بين واقع المتعلمين آنذاك، وواقعهم في أيامنا مصراً على أهمية المعاناة في البنيان المعرفي، ومشدداً على دور الأساليب العلمية في هذا البناء.

وطالما كان يقف على الفروقات الدقيقة في معاني الكلمات المتخيّرة لاعتمادها مصطلحات في العربية مقابل المصطلحات الأجنبية، وهو المتمكن الكفي في أكثر من لغة أجنبية، ولاسيما الفرنسية التي بدأ باكتسابها منذ مرحلة الطفولة، وثابر على هذا الاكتساب حتى صار مرجعاً في مبانيها ومعانيها الدقيقة.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن لغته العربية كانت حبيبته الأولى التي ملكت عليه فؤاده، وهذا ما يذكرنا بقول أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الكريم اليافي:

كـــم مـــن لغـــاتٍ قـــد عرفـــتُ وإنمـــا لغـــة العروبـــة فـــوق كـــل لســـانِ

ملكـــت علـــيَّ جـــوانحي فأطعتهـــا حبـــاً، فعـــادت وهـــي طـــوع بنـــاني

وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على عمق انتمائه إلى أمته العربية الماجدة، ولغتها العربية الخالدة.

والواقع كانت العربية طوع بنانه، فكان أسلوبه أنيق العبارة، وواضح الدلالة، وبعيداً عن الغموض والالتباس.

وكان يعتز أيما اعتزاز بتراث أمته العلمي في ميدان الطب، وغيره من الميادين العلمية الأخرى، ويفنّد المزاعم التي كانت تشير إلى أن العرب لم يكونوا مبدعين في ذلك الميدان، وأنهم كانوا نقلة ومترجمين عن اليونان والفرس والهند، وكان يعد ذلك محض افتراء تكذّبه مخطوطات الرازي، وما جاء فيها من تصويبات كثيرة لأبقراط وجالينوس، وإبداعاتُ ابن الهيثم في البصريات، وقد ظلت أوربا حتى أوائل القرن التاسع عشر لا تعتمد في طبها إلا على مخطوطات ابن سينا والرازي والزهراوي وابن النفيس، وما زالت تسمي بعض المركبات الكيميائية بأسمائها العربية.

وكان يرفض بشدة دعوة بعضهم إلى اعتماد المصطلحات الأجنبية بعد أن نسبغ عليها الثوب العربي حروفاً وصيغة دون أن نبحث عنها في المعاجم القديمة داعياً إلى الاقتداء برواد التعريب الأوائل.

وطالما تغنى بجهودهم في الاطلاع الواسع على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية، وفي

مختلف الكتب العلمية القديمة، ويعدّهم أنموذجاً وقدوة في البحث والتنقيب عن المصطلح العربي مقابل المصطلحات الأجنبية.

ولكم كان يشيد بصنيع أستاذه الطبيب مرشد خاطر، ويصف بدقة ما كانت عليه شخصيته في الأداء الأمثل لعمله المهني، والاختيار الأفضل للمصطلحات العربية.

إننا نتقدم من أسرة فقيدنا الغالي قرينته الفاضلة الدكتورة فريدة، ومن أخيه غسان، وابنيه الدكتور فؤاد، والمهندس عمرو، وابن أخته السيّد خالد، وآل المحاسني الكرام، وذويه بأصدق التعازي، سائلين المولى تعالى أن يتغمده بواسع رحمته سعة ما قدّمه لأمته من أفانين العلم، وأن يجزيه عن خدماته خير الجزاء، ويسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله وذويه وأصدقاءه وطلابه ومحبيه الصبر والسلوان،

ويظل ذكره ماثلاً في الأذهان، لأن الذكر للإنسان عمرٌ ثان، ورحم الله الشاعر المجمعي الراحل بدوي الجبل إذ يقول:

ورود الربـــــا بعـــــد الربيـــــع بعيـــــدةٌ ويـــدنيك منهـــا فـــي قـــواريره العطـــرُ

ســـــيذكرني بعـــــد الفـــــراق أحبتـــــي ويبقـــى مـــن المـــرء الأحاديـــثُ والـــذكرُ

رحم الله فقيدنا، ورحم شهداءنا الأبرار الذين قدّموا دماءهم الطاهرة ذوداً عن الحمى والديار، والشفاء العاجل لجرحانا، وحفظ الله وطننا الغالي رئيساً وجيشاً وشعباً.

وإنا لله وإنا إليه راجعون، والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.